الباب الثاني

فتح الحصون

الباب الثاني

فتح الحصون

ذكرنا أن خيبر بها ثماني حصون مقسمة إلى قسمين الأول به خمسة حصون ، والثاني به ثلاثة حصون ، فيهود خيبر ككل اليهود يغلب عليهم الجبن ولا يحاربون إلا أمام حصونهم .

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١)

ولما هدد الرسول ﷺ يهود خيبر بإتلاف مالهم وقطع نخيلهم ، عسى أن يحملهم ذلك على التسليم ، فلما لم يسلموا ، أمر بالكف عن قطع النخيل ولم يكن أمامه من بد إلا مهاجمة الحصون ومحاصرتها حصنًا حصنًا فالطرف اليهودي في كثرة من عدد وعدة وعتاد ، ومناعة موقف ، والمسلمون في استبسال وإيمان ويقين بالسيطرة على الموقف ، اليهود يخرجون للقتال في النهار ويلجأون للحصن الذي عليه القتال بالليل.. فهل نجح المسلمون في فتح هذه الحصون.. هذا ما نعرفه إن شاء الله في هذا الباب.

١- سورة الحشر آيات ١٤ ، ١٥.

الفصل الأول

المشهد الأول

حصـــن نـــاعـــم

لقد أبدى علي بن أبي طالب في هذه الغزوة شجاعة نادرة ولعبت الفدائية المسلمة دورها في نفوس وقلوب المقاتلين المسلمين وقدم المسلمون فيها نماذج للبذل والتضحية كي يتخلصوا من كل آلامهم وضيقهم من مؤامرات اليهود ضدهم.

وقد انطلق علي بن أبي طالب بالراية حتى ركزها تحت الحصن وكان رسول الله ﷺ كان قد وعد أن يعطي الراية غدًا لرجل يحبه الله ورسوله، وكان هو علي بن أبي طالب وكان رسول الله ﷺ قد أوصاه أن يقاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منه دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى وبينما علي بن أبي طالب تحت الحصن إذْ طلع عليه الحارث أخو مرحب اليهودي فقال:

من الذي يقف بجوار حصننا ؟

علي بن أبي طالب :

أنا علي بن أبي طالب.

الحارث " أخو مرحب " :

ولماذا تقف هنا ومن الذي أتى بكم إلينا ؟

علوتم وما أُنزل على موسى - لا أقسم بالتوراة.

علي بن أبي طالب:

جئنا ندعوكم لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

الحـــارث:

نحن نقول لا إله إلا الله . ولكن لا نؤمن بهذا النبي .

علي بن أبي طالب:

رغم علمكم وإخباركم بأنه نبي آخر الزمان .

الحـــارث :

نعم ، ولكن لا نؤمن به لأنه ليس من بني إسرائيل .

علي بن أبي طالب:

وطالما أنتم لا تؤمنون بهذه الشهادة " لا إله إلا الله " فسوف نقاتلكم حتى الموت .

الحـــارث: لأقتلنك يا علي.

علي بن أبي طالب :

يضربه فيقتله .

ودار قتـــال عنيـــف ومشـــى الرجـــال وانكشـــف المســـلمون وثبـــت علـــي بـــن أبـــي طالـــب وهجـــم علـــيهم فلمـــا رأى المســـلمون ثبـــات علـــي بـــن أبـــي طالـــب كـــرو! علـــى أعدائهم الذين زلزل مقتل الحارث قلوبهم .

فانهزم يهود خيبر إلى حصن ناعم وأصوات المسلمين تهز خيبر .

يا منصور أمت يا منصور أمت .

وخـــرج مرحـــب صـــاحب حصـــن نـــاعم وعليـــه مغفـــر معصـــفر " مصـــبوغ " وحجـــر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز .

قـــد علمـــت خيـــبر أنـــي مرحـــب شـــاكي الســـلاح بطـــل بحـــرب

إذا الليـــوث أقبلـــت تهبهـــب أطعـــن أحيانـــًا وحينـــا أضـــرب

كان حماي كالحمى لا يقرب

ثـــم قـــال :

هل من مبارز ؟

فأقبل علي بن أبي طالب نحوه وهو يقول :

أنـــا الـــذي سمـــتني أمـــي حيـــدرة كليـــث غابـــات شـــديد قســـورة

اكيلكم بالسيف كيل السندرة

قسورة : اسم من أسماء الأسد ، السندرة : مكيال كبير.

مرحـــب :

أنت يا علي تخرج إليّ خذ هذه الضربة.

علي بن أبي طالب :

يمنع الضربة عن نفسه: " سأقتلك يا مرحب "، خذ هذه الضربة.

مرحب " ينادي بأعلى صوته ":

قتلتني يا علي .

محمد بن مسلمة :

نعم يا علي لقد شق السيف الحجر والمغفر ودخل رأسه حتى أخذ السيف في أضراسه

عامر بن الأكوع " يتلوى من الألم " :

آه لقد أصاب سيفي ساقي .

محمد بن مسلمة :

ماذا بك يا عامر ؟

عامر بن الأكوع :

أردت أن أضرب يهودي بسيفي فرجع السيف إلى ركبتي .

محمد بن مسلمة :

احملوا معي عامر بن الأكوع إلى معسكر رسول الله ﷺ .

ياسر " أخو مرحب اليهودي " :

قد علمت خيبر أني ياسر شاكي السلاح بطل مغاور

إذا الليوث أقبلت تبادر إن حماي فيه موت حاضر

هل من مبارز ؟

الزبير بن العوام :

أنا أخرج لهذا الرجل اتركوه لي.

علي بن أبي طالب:

دعني أنا يا زبير أقتل هذا الرجل.

الزبير بن العوام :

لا ، لن يبارزه أحد غيري.

صفية بنت عبد المطلب " عمة رسول الله ﷺ ":

إني أخاف على ولدي الزبير يا رسول الله.. إن هذا الرجل يقتل ابني.

رسول الله ﷺ يقول :

بل ابنك يقتله إن شاء الله .

الزبير بن العوام :

قد علمت خيبر أني زبَّار قرم لقرم غير نكس فرار

أين حماة المجد أين الأخيار ياسر لا يغررك جمع الكفار

فجمعهم مثل السراب الختار.

قرم : سيد ، نكس : جبان ، الختار : الخداع

ثم قال الزبير بن العوام :

خذ هذه الضربة يا ياسر.

محمد بن مسلمة :

الله أكبر لقد قتله الزبير.

المسلمـــون :

الله أكبر.. الله أكبر.

صفية بنت عبد المطلب " وهي تبتسم "

حماك الله من فارس يا ولدي .

رســـول الله ﷺ :

فداك عم وخال، لكل نبي حواري وحواريي الزبير.

ودار القتال رهيبًا عند حصن ناعم، علي بن أبي طالب يتقدم ويضرب بسيفه لا يلتفت خلفه، وأصوات المسلمين تدوي في آذان يهود كأنها صواعق منذرة بالموت .

يا منصور أمت .. يا منصور أمت .

وبلغ علي كرم الله وجهه باب الحصن فاقتلع الباب وحمله على ظهره.

محمد بن مسلمة:

اصعدوا يا معشر المسلمين ، على ظهر الباب الذي على ظهر علي بن أبي طالب وقاتلوا اليهود.

علي بن أبي طالب:

الله أكبر لقد فر اليهود إلى حصن صعب ليتحصنوا به والله لنتبعهم في الحصون الأخرى.

المسلمـــون: الله أكبر.. الله أكبر.

المشهـــد الثانـــي

شهيد ليهودي وشهيد مسلم

دار القتال بين الفريقين وانتهى المسلمون من فتح حصن ناعم أول الحصون وأقواها وأخذوا يتجهزون لدخول حصن الصعب وهذا الحصن أيضًا من أشد الحصون ولكن في هذه الأوقات حدثت بعض الأحداث من هذه الأحداث أنه قد جاء رجل يدعى يسار وكان عبدًا حبشيًّا إلى رسول الله ﷺ وكان أجيرًا لرجل من اليهود وكان يرعى غنمه ليعلن إسلامه ويسأل عن الجنة .. كذلك هنا عامر ابن سلمة الذي دعا له رسول الله ﷺ بقوله يرحمك ربك وكان إذا دعا لأي صحابي بهذا الدعاء علم المسلمون أنه سيموت في هذه الغزوة شهيدًا ، فتعالوا لنرى ماذا حدث ؟

يســـار :

أين رسول الله ﷺ ؟

الزبير بن العوام :

لماذا يا رجل ؟ ومن أين أنت ؟

يســـار :

لقد جئت من خيبر أريد أن ألقي رسول الله ﷺ لأمر هام .

الزبير بن العوام :

تعال يا رجل ، هذا هو رسول الله ﷺ .

يســـار :

أين رسول الله ﷺ لأعلن إسلامي بين يديه ؟

رسول الله ﷺ يقول :

تعال يا رجل .

يســـار :

يا رسول الله ، إني أسلمت فماذا لي ؟

رسول الله ﷺ :

الجنة " لك الجنة " .

يســـار :

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

الزبير بن العوام :

ولكن معه غنم يا رسول الله لقد أتاني بها فماذا نفعل بها؟

يســـار :

يا رسول الله ، إني كنت أجيراً لصاحب هذا الغنم فكيف أصنع بها ؟ إنها أمانة عندي يا رسول الله وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك .

محمد بن مسلمة :

هل سنأخذها لنا يا رسول الله، وهي غنم يهودي ونحن نحاربهم ؟

علي بن أبي طالب :

ما كان رسول الله ﷺ يأخذ أمانة أحد فلقد تركني رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة لأرد أمانات الكفار والمشركين لأصحابها .

رسول الله ﷺ يقول :

يا يسار ، اضرب في وجهها فإنها سترجع إلى صاحبها .

يســـار :

كيف يا رسول الله تعود على أصحابها ؟

رسول الله ﷺ :

بل افعل ما قلت لك .

يسار " يأخذ حفنة من الرماد ويرمي بها وجه الغنم " ويقول :

ارجعي إلى أصحابك فوالله لا أصحبك .

فرجعت مجتمعة كأن سائقها يسوقها حتى دخلت الحصن .

يســـار :

والله لآخذن السلاح وأجاهد في سبيل الله .

الزبير بن العوام :

لقد مات يسار يا رسول الله بعد أن أصابه حجر ولم يصل لله ركعة فهل هو شهيد ؟

رسول الله ﷺ :

لقد كرم الله وجه هذا العبد وساقه إلى خيبر وقد كان الإسلام من نفسه حقًّا .

وراح عامر بن سلمة يتلوى من الألم ، وعمر بن الخطاب ينظر إليه وهو على ثقة من أنه سيموت ؛ لأن رسول الله ﷺ دعا له " يرحمك الله " وعمر بن الخطاب قال : "وجبت " يا رسول الله لولا أمتعتنا به .

ومات عامر بن سلمة وخاض الناس في موته .

أسيد بن حضير :

والله لقد قتله سلاحه .. وما أظن أنه بشهيد .

الزبير بن العوام :

أظن أنه قتل نفسه وليس بشهيد .

سلمة بن الأكوع :

ماذا تقولون في أخي عامر ، أليس بشهيد ؟

عمر بن الخطاب :

والله إني لأعلم أنه شهيد لأن رسول الله ﷺ قال له يرحمك ربك . وأنا واثق من ذلك .

سلمة بن الأكوع :

لأذهبن إلى رسول الله ﷺ كي أعرف إذا كان أخي قد مات شهيداً وهو في الجنة أم لا .

أسيد بن حضير :

لا تتعب نفسك ونحن نستعد لدخول حصن الصعب ، كان الأفضل لك أن تشغل معنا بالقتال والجهاد .

سلمة بن الكوع :

يا رسول الله ، يزعم أسيد بن حضير وجماعة من الصحابة أن عامرًا أخي أحبط عمله لأنه قُتل بسيفه .

رسول الله ﷺ : إنه لشهيد .

سلمة بن الأكوع : أتصلي عليه يا رسول الله ؟

علي بن أبي طالب :

هيا بنا لنصلي على أخيك وسوف يصلي بنا رسول الله ﷺ وجموع المسلمين

سلمة بن الأكوع : الحمد لله ، لقد مات أخي شهيدا .

عمر بن الخطاب :

ألم أقل لك إنه شهيد بسبب دعاء رسول الله ﷺ .

سلمة الأكوع :

والله لأجاهدن في سبيل الله حتى النصر أو الشهادة .

المشهد الثالث

أحكام فقهية في غزوة خيبر

انهارت مقاومة اليهود في حصن ناعم بعد مقتل الحارث ومرحب وياسر.. وظل المسلمون يقاتلون بشراسة شديدة حتى تم فتح حصن ناعم..

وأصاب المسلمون مجاعة ولم يجدوا طعامًا وهم يحاربون فجلس المسلمون ماذا يفعلون تجاه هذه المجاعة، وهذا النقص الخطير في المواد الغذائية بين عدة كتائب من الجيش الإسلامي إلى حد المجاعة نتيجة طول الحصار وشراسة اليهود في القتال، أثناء الدفاع عن حصونهم التي يعتصمون بها.

الحباب بن المنذر :

ماذا نفعل يا قوم تجاه هذه المجاعة ؟ لقد جاع الناس وأصابهم التعب والإعياء الشديد بسبب قلة الطعام.

عمارة بن عقبة الغفاري :

نرسل إلى رسول الله ﷺ حتى يجد لنا مخرجًا من هذه الأزمة فالرسول يستطيع أن يحل هذه المشكلة بكلمة واحدة.

الحباب بن المنذر :

نرسل قبيلة أسلم إلى رسول الله ﷺ حتى نرى ماذا يفعل ؟

عبد الله بن مغفل :

من بين العرب كلها نبعث أسلم إلى رسول الله ﷺ لماذا ؟

الحباب بن المنذر :

فليذهب أسماء بن حارثة إلى رسول الله ﷺ ليبلغه بهذه المجاعة.

عمار بن حارثة :

والله إني لأرجو أن يكون البعث إلى رسول الله ﷺ مفتاح الخير.

أسماء بن حارثة :

والله لأبلغن ما حدث لرسول الله ﷺ حتى يدعو الله لنا أن ننتصر ونجد طعامًا .

فجاءه ﷺ أسماء وبلغه ما قالت أسلم وما أصاب الناس من مجاعة ثم عاد أسماء بن حارثة إلى القوم .

الحباب بن المنذر :

ماذا قال لك رسول الله ﷺ يا أسماء بن حارثة .

أسماء بن حارثة :

لقد دعا رسول الله ﷺ ربه وقال : " اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليس بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ."

عبد الله بن مغفل :

إذن فماذا نأكل وقد نفد ما معنا من طعام ، من طول حصارنا ليهود خيبر.

الحباب بن المنذر :

نصبر على الجوع ولا نأكل أي شيء يحرمه الله عزوجل علينا .

سلمان الفارسي :

ماذا لو ذبحنا هذا الحمار الذي تركه اليهود في حصن ناعم ولم يتركوا لنا غيره فقد أخذوا كل ما لديهم من طعام وشراب حتى لا نشرب ولا نأكل .

الحباب بن المنذر :

هذا هو شأن اليهود دائمًا ما انتفع أحد منهم بشيء .

عبد الله بن مغفل :

لو ذبحنا هذا الحمار ربما عاتبنا رسول الله ﷺ على ذلك أما لو استشرنا رسول الله ﷺ أولاً .

عمار بن عقبة :

نذبح الحمار فكدنا أن نهلك ونموت من شدة الجوع ولا نستطيع القدرة على الجهاد والله عز وجل قد حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ولم يحرم الحمر الأهلية فلو كانت حرامًا لنزل فيها قرآن أو حرمها رسول الله ﷺ .

أسماء بن حارثة :

أحضروا القدور وأنا أقوم بذبح الحمار وأشعلوا النار حتى نطبخه .

الحباب بن المنذر :

اذهب أنت يا أسماء إلى رسول الله ﷺ ونحن سنقوم بذبحه وطبخه ربما حرم لحم الحمر الأهلية فنحن لا نأكلها .

أسماء بن حارثة " وقد ذهب إلى رسول الله ﷺ ورجع " :

يا معشر المسلمين احذروا هذه الفعلة لقد ارتكبنا محرمًا .

الحباب بن المنذر :

ما الذي قاله لك رسول الله ﷺ يا أسماء .

أسماء بن حارثة :

لقد نهى الرسول ﷺ عن أكل لحوم الحمر الأهلية .

عمار بن عقبة :

ماذا تقول يا أسماء إن القدور تغلي واللحم قد طاب ونريد أن نأكل .

الحباب بن المنذر :

يا أسماء ، ماذا قال لك الرسول ﷺ لعل قرآناً قد نزل على رسول الله ﷺ يحرم هذا أم قال لك حديثاً شريفاً .

أسماء بن حارثة :

لقد أخبر رسول الله ﷺ بأمور فقهية كثيرة في هذا الحديث .

عمار بن عقبة :

ماذا قال ﷺ حتى نأخذ بما قاله ﷺ .

أسماء بن حارثة :

لقد خطب رسول الله ﷺ عندما علم بأننا نريد أن نأكل لحوم الحمر الأهلية

الحباب بن المنذر :

لقد شوقتنا يا رجل ، أخبرنا ما قاله الرسول ﷺ .

أسماء بن حارثة :

قال ﷺ :

[لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره " يعني إيتاء الحبالى من السبايا " ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها " يتأكد من براءة رحمها من الحمل وذلك بالحيض " ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها " هزلها وأضعها ردها فيه " ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه " أبلاه " رده فيه]

ودعا رسول الله ﷺ وقال :

اللهم افتح أكثر الحصون طعاماً وودكاً " أي دسماً " .

المشهد الرابع

" فتح حصن الصعب "

الحصن الثاني هو حصن الصعب بن معاذ اسمه الصعبُ وهو من القوة والمناعة من أن يفتح بسهولة وكان قائد المسلمين لفتح هذا الحصن هو الحباب ابن المنذر ففرض المسلمون الحصار عليه ثلاثة أيام ، ودعا الرسول ﷺ لفتح هذا الحصن دعوة خاصة ففتح على أيدي المسلمين وفر اليهود منه هاربين إلى الحصن الثالث وكان حصن الصعب بن معاذ يعتبر الحصن الثاني من حيث القوة والمناعة والتحصين بعد حصن مرحب أو حصن ناعم الذي استولى عليه المسلمون..

عمر بن الخطاب :

أين الحباب بن المنذر ؟ يريد الرسول ﷺ أن يعطيه اللواء ليكون قائد المسلمين لفتح هذا الحصن .

الحباب بن المنذر :

الحمد لله الذي جعل ثقة رسوله ﷺ فيَّ وإن شاء الله سوف أكون عند حسن ظن الرسول ﷺ هيا بنا يا معشر المهاجرين والأنصار ننطلق إلى حصن الصعب .

المسلمون :

الله أكبر.. الله أكبر يا منصور ، أمت أمت .

يوشع اليهودي " يخرج من الحصن " :

أين هؤلاء الأوغاد الذين يريدون أن يقتحموا أصعب الحصون ؟ هل من مبارز فأقتله ؟

الحباب بن المنذر :

من أنت أيها اليهودي ، حتى تسب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ والله ما أنت إلا حشرة خلفها أولاد القردة والخنازير.

يوشع اليهودي :

أنا ! سوف تعرفني حينما أقتلك .

الحباب بن المنذر " يكشر عن أنيابه " :

الله أكبر الله أكبر.. يا منصور أمت أمت .

خذ هذه الضربة .

يوشع اليهودي :

بل خذ أنت هذه الضربة .

الحباب بن المنذر :

بسم الله هذه الضربة سوف تقتلك .

علي بن أبي طالب :

الله أكبر لقد قتل الحباب بن المنذر الرجل اليهودي كبرا أيها المسلمون واهجموا على الحصن هجمة رجل واحد .

شمويل اليهودي :

أتسمعون يا معشر اليهود تكبير المسلمين لقد قتلوا يوشع فماذا نفعل؟

الدبال اليهودي :

أنا سوف أخرج للمبارزة ولعلي أن أفعل شيئًا دفاعًا عن الحصن .

الحباب بن المنذر :

دعوني أن أبارز هذا الرجل أيضًا .

عمارة بن عقبة الغفاري :

بل أبارز، أنا وسوف أقتله .

علي بن أبي طالب :

خذ الترس والسيف لأن اليهودي على رأسه خوذة تتألق في الشمس وفي يده رمح ذو ثلاث شعب .

الحباب بن المنذر :

كان هذا الرجل في ضخامة جالوت لما حارب الصبي داود عليه السلام وكان ينبغي أن أقاتله أنا.

عمر بن الخطاب :

بل اترك له عمارة بن عقبة فسوف يقتله إن شاء الله .

عمارة بن عقبة الغفاري :

أيها اليهودي ماذا تريد ؟ سوف أقتلك وخذها وأنا الغلام الغفاري .

الحباب بن المنذر :

لماذا قال عمارة هذه الكلمة خذها وأنا الغلام الغفاري لقد حبط جهاده.

علي بن أبي طالب :

لماذا حبط جهاده ؟

الحباب بن المنذر :

لأنه لم يكبر وهو يضرب اليهودي ولم يهتف بشعار المسلمين بل دعا بدعوى الجاهلية .

بلال بن رباح :

لقد سمع رسول الله ﷺ ما قاله عمارة الغفاري ، لما ضرب الدبال وقتله وقال له : خذها وأنا الغلام الغفاري وعرف بما قاله الناس حبط جهاده

فقـــال ﷺ: يؤجر ويحمد .

عمارة الغفاري :

الحمد لله الذي ثبت إيماني وأجرني على جهادي .

الحباب بن المنذر :

الرسول ﷺ يحرضكم يا معشر المسلمين على الجهاد ، هيا فاثبتوا فإن اليهود يريدون أن يحملوا علينا .

عمارة الغفاري :

الله أكبر الله أكبر يا منصور أمت .. يا منصور أمت .

المسلمـــون :

يكبرون خلفه الله أكبر الله أكبر يا منصور أمت .

علي بن أبي طالب :

اثبتوا أيها المسلمون فسوف نفتح هذا الحصن إن شاء الله .

الحباب بن المنذر :

أرى أن اليهود قد أصابهم الرعب والفزع .. أيها المسلمون أظهروا الفرح والعبوا بالسيوف واطعنوا اليهود ، قاتلوا أعداء الله .

عمارة الغفاري :-

هيا نتسلَّقْ الحصن ونثبتْ أقدامنا فوقه ..

علي بن أبي طالب :

نعم لابد وأن ندخل هذا الحصن قبل المساء لتدور المعركة الفاصلة بيننا وبين اليهود .

الحباب بن المنذر :

خذوا هؤلاء الأسرى ولا تمثلوا بالقتلى من اليهود .

عمارة الغفاري :

الحمد لله لقد فتح الله لنا الحصن وقد تحقق دعاء الرسول ﷺ لنا هذا هو الشعير والتمر والسمن والعسل والسكر والزيت والودك إنه كثير ، احملوا أيها الرجال .

بلال بن رباح : رسول الله ﷺ يقول لكم كلوا وأغلقوا ولا تحملوا شيئًا .

الفصل الثاني

المشهـــد الأول

" فتـــح قلعـــة الزبيـــر "

بعـد أن اسـتولى المسـلمون علـى حصـن الصـعب بـن معـاذ تحـول اليهـود إلى حصـار منيـع جـدًّا يقـع علـى قمـة جبـل عاليـة صـعبة المسـالك تسـمى قلعـة الـزبير وتحصـن اليهـود في هـذه القلعـة واسـتعدوا فيهـا لقتـال كتائـب المسـلمين الـتي كانـت قـد تحولـت بـدورها وضـربت الحصـار علـى اليهـود ، وقـد قـام المسـلمون بعـدة محـاولات لاقتحـام قلعـة الـزبير وفتحهـا ، ولكـنهم لم يتمكنـوا لمناعـة الحصـن ووعـورة الطـرق والمسالك المؤدية إليه ..

وكـان المسـلمون لا يرغبـون في إطالـة مـدة الحصـار علـى هـذا الحصـن بـل يتوقعـون الـدخول مـع اليهـود في معركـة قاصـد خـارج الحصـن لأن هـذا الحصـن حصن منيع لا تقدر عليه الخيل ولا الرجال لحصانته فماذا حدث ؟

محمد بن مسلمة " وهو يحرس معسكر المسلمين " :

من هذا الذي يتسلل إلى معسكرنا في جنح الظلام .

غزال اليهودي :

أنا غزال اليهودي .. أيها المسلم .

محمد بن مسلمة :

قـف مكانـك ولا تتحـرك ، مـاذا تريـد ؟ ومـن الـذي أتـى بـك إلى هنـا ؟ تكلـم ، وإلا قتلتك بسيفي هذا .

غزال اليهودي " ترعد فرائصه " :

أريد مقابلة نبيكم أيها الرجل .

محمد بن مسلمة :

ولماذا تريده أيها اليهودي لعلك جئت تتجسس علينا ثم تعود إلى من أرسلك من اليهود .

غزال اليهودي .

أبدًا أنا أريده لأن لدي أسرارًا ولن أقولها إلا له .

محمد بن مسلمة :

تعال ، سر أمامي ، ولا تلتفت سأذهب بك إلى رسول الله ﷺ .

غزال اليهودي :

هيا بنا أيها المسلم .

محمد بن مسلمة :

يا رسول الله هذا رجل يهودي يسمى غزال ، وجدته يتسلل إلى المعسكر ، ولكنه طلب أن يقابلك .

بلال بن رباح :

رسول الله ﷺ يقول : وماذا تريد يا غزال ؟

غزال اليهودي :

يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به ، فإنك لو مكثت شهراً لا تقدر على فتح هذا الحصن ، فإن به أنهاراً صغيرة تحت الأرض يخرجون ليلاً فيشربون منها ، فإن قطعت عنهم شربهم أهلكتهم .

بلال بن رباح :

إن رسول الله ﷺ يعطيك الأمان .

غزال اليهودي :

يا أبا القاسم ، اصدقني القول فإن يهود قلعة الزبير لم يتضرروا بالحصار مهما طال عليهم لمناعة الحصن ووفرة الطعام في الحصن ما يكفيهم لمدة طويلة جدًّا وما ذكرته لك من الأنهار.

محمد بن مسلمة :

يا رسول الله ، لقد أعطيت هذا اليهودي الأمان فماذا نفعل بعد أن أخبرنا عما في الحصن ؟

غزال اليهودي :

يا أبا القاسم ، أنا أعرف طريق منابع المياه السرية تحت الأرض ، وأعرف الخزانات التي صممت خصيصًا لأيام الحرب ينزلون إليها أثناء الليل عبر سراديب سرية تصلها بالقلعة فيأخذون منها حاجتهم من الماء .

محمد بن مسلمة :

وهل تقع هذه الينابيع والأنهار والخزانات خارج القلعة ؟

غزال اليهودي :

نعم تقع بعيدًا ، ولكنهم يصلون إليها عبر سراديب .

بلال بن رباح :

رسول الله ﷺ يقول :

يا غزال ، خذ معك محمد بن مسلمة ، والحباب بن المنذر ، وثابت بن قيس ، وجماعة من المسلمين ، واذهب إلى هذه السراديب وأخبرهم عنها .

غزال :

هيا بنا أيها المسلمون نذهب إلى هناك .

محمد بن مسلمة :

نقطع هذه الطرق على اليهود ، فلم يجد اليهود بدًّا إلى أن يخرجوا من الحصن ليقاتلوا دفاعًا عن حياتهم التي أصبحت مهددة بالبوار من العطش .

عمارة الغفاري :

يا معشر المسلمين ، لقد خرج اليهود من الحصن بسبب انقطاع المياه عنهم هيا بنا نقاتلهم .

محمد بن مسلمة : أثبتوا يا معشر المسلمين .

المسلمون :

الله أكبر .. الله أكبر يا منصور أمت .. يا منصور أمت .

علي بن أبي طالب :

هيا نحمل عليهم حملة رجل واحد وارفعوا أصواتكم فهي تفعل في الأعداء ما تفعله السيوف البتارة ، فما أن يدوي بين السماء والأرض شعار المسلمين " يا منصور أمت أمت " حتى تتخلل مفاصل الأعداء ؛ فهم جبناء ويكادون أن يموتوا رعبًا قبل أن تصل إلى أفئدتهم السهام ، أو تقطع رؤوسهم السيوف .

محمد بن مسلمة :

انظروا يا معشر المسلمين ، إن النسوة تأخذهن الرجفة ، ويحرضن الرجال من اليهود على القتال .

علي بن أبي طالب :

إن اليهود في رعب وخوف فهم في ذهول تام ، ولكنهم يحرصون على حياتهم شأنهم شأن أي يهودي ، اهجموا عليهم وأسروا النسوة ، واقتلوا الرجال.

محمد بن مسلمة : نعم إن الرجال يفرون إلى الحصن الذي بعده .

غزال : إنها قلعة أُبي وهو حصن آخر منيع .

محمد بن مسلمة : افرضوا عليهم الحصار حتى نقضي عليهم .

المشهد الثاني

مشاهد وفتح قلعة أبي

كان نفر من المحاربين يريدون أن يخرجوا بما غنموا إلى بلادهم فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك وأباح الأكل والعلف في المعسكر فقط ولا يخرج أحد بشيء يحمله .

أبو اليسر كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري :

إلى أين تذهب يا عبد الله بن مغفل وما الذي في يدك ؟

عبد الله بن مغفل :

أحمل جرابًا به سمن ولحم أريد أن أرتحل به .

أبو اليسر :

ألم يَنْهَ رسول الله ﷺ عن ذلك وألاَّ يحمل أحد من المسلمين شيئًا ؟

عبد الله بن مغفل :

أريد أن آكله أنا ومن معي في المعسكر.

أبو اليسر " وهو يجذبه " :

بل هات هذا الجراب .

عبد الله بن مغفل :

بل اتركه لي آكله .

بلال بن رباح :

لقد رآكما رسول الله ﷺ وابتسم ، وهو يقول لك : يا أبا اليسر ، لا أبًا لك اتركه له يأكله هو ومن معه .

وجاء ركب قادم من المدينة إلى خيبر فاتجهت الأبصار إليه حتى إذا قرب من المعسكر عرف الناس القادمين ، إنهم سبعون بيتًا من قبيلة دوس على رأسهم الطفيل بن عمر الدوسيّ وفيهم أبو هريرة ، كان الطفيل قد أسلم قبل هجرة رسول الله ﷺ وعاد على قومه فأجابه أبو هريرة وحده وبقى مع رسول الله ﷺ ولكن قومه لم يأتوا وطلب أبو هريرة من رسول الله ﷺ أن يدعو لهم .

فقال ﷺ :

اللهم اهد دوسًا وائت بها .

وظلوا مدة مضت بعد غزوة بدر و أحد والخندق ، ثم أتوا في غزوة الخندق.

عمرو بن الطفيل :

لقد أتينا يا رسول الله بسبب دعائك لنا ونحن سوف ندخل معك معركة خيبر هذه .

أبو هريرة :

لقد ضل علامي يا قوم ، أين هو ؟

الطفيل بن عمرو :

لسنا في غلامك يا أبا هريرة وإنما تريد من الرسول ﷺ أن تجعلنا على ميمنة في المعركة وأن تجعل شعارنا (مبرور) .

بلال بن رباح :

لقد أتى غلامك يا أبا هريرة .

أبو هريرة :

هو لوجه الله .

غــزول :

هل من مبارز يا معشر المسلمين ؟

الحباب بن المنذر :

نعم أنا أبارزك وأقتلك أيها اليهودي .

علي بن أبي طالب :

الله أكبر لقد قطع الحباب ذراع اليهودي اليمني ورجع اليهودي منهزماً إلى حصن أبي دقيق وتبعه الحباب فقطع عرقوبه فوقع فقتله .

عمرو بن الطفيل :

هذا مبارز يا علي دعني أقتله .

علي بن أبي طالب :

اقتله يا عمرو .

المسلمــون :

الله أكبر الله أكبر .. يا منصور أمت .

محمد بن مسلمة :

لقد قتله عمرو بن الطفيل هل ترون أن يخرج أحد من اليهود للمبارزة مرة ثانية .

علي بن أبي طالب :

لا أعتقد أن يخرج أحد منهم بعد مقتل غزول ذلك الفارس المغوار إنهم أغلقوا أبواب القلعة .

الحباب بن المنذر :

لابد أن نضرب حصارًا حول القلعة .

محمد بن مسلمة :

ولابد أن ننصب المنجنيق الذي عثرنا عليه في حصن الصعب ونصوب الضربات والحجارة الثقيلة إلى الحصن .

علي بن أبي طالب :

أنا أتولى هذا الأمر وسوف نذيقهم الويل .

أبو دجانة :

يا علي ، يا أبا الحسن ، إن ضربات المنجنيق التي صوبناها نحو الحصن قد جعلت به ثقبًا كبيرًا .

علي بن أبي طالب :

يا أبا دجانة خذ مجموعة معك وادخل الحصن من ناحية هذا الثقب ونحن سوف نحمي ظهوركم .

أبو دجانة :

الله أكبر .. الله أكبر .. يا منصور أمت تعالوا خلفي أيها المسلمون نقاتل حتى يسقط حصن أبي .

محمد بن مسلمة :

الله أكبر لقد سقط حصن أبي يا رسول الله ووجدنا فيه آنية كثيرة من نحاس وفخار كانت اليهود تأكل فيها وتشرب .

بلال بن رباح :

رسول الله ﷺ يقول لكم :

سخنوا فيها الماء ثم اطبخوا بعد ، وكلوا واشربوا .

علي بن أبي طالب :

يا رسول الله ، لقد انهزم من تبغي من اليهود في حصن أبي وفروا إلى حصون الكتيبة وقد أخبرنا غزال اليهودي أنها ثلاثة حصون هي القموص والوطيح وسلالم ..

بلال بن رباح :

إن رسول الله ﷺ يقول :

حاصروا تلك الحصون حتى الاستسلام وحتى يفتح الله عليكم تلك الحصون .

علي بن أبي طالب :

يا معشر المسلمين ، لا هوادة بعد اليوم مع هؤلاء الذين خانوا العهد مع رسول الله ﷺ وحرضوا علينا الأحزاب .

أبو دجانة :

هيا يا علي ، نهيأ جيش المسلمين لغزو باقي الحصون ليفتح الله علينا هذه الحصون ..

المشهد الثالث

حصار حصون الكتيبة .. والصلح

وحاصر المسلمون حصن الوطيح وسلالم ومكثوا على حصارهما أربعة عشر يومًا وقاد علي بن أبي طالب هجوم المسلمين فانطلق لا يلوي على شيء لإيهاب النبل الذي تساقط على المسلمين كالمطر فلما رأى اليهود تقدمه أوجسوا منه خيفة وراحوا يرمونه بالحجارة وهو كالليث يعدو إلى الحصن لا يلتفت خلفه واندفع الرجال في أثره وشعار الناس يا منصور أمت أمت ، وشعار ميمنة عن الأزد مبرور.

وتداعى الحصن تحت هجمات علي كرم الله وجهه ومعه المسلمون ..وسُبيت صفية بنت حيي وبنت عم لها وجاء بلال بهما فمر على قتلى يهود فلما رأتهم بنت عم صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال :

أغربوا عني هذه الشيطانة . والتفت إلى بلال وقال :أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟

علي بن أبي طالب :

اذهب بهما يا بلال إلى حيث جمع السبى .

دحية الكلبي :

يا نبي الله ؛ أعطني جارية من السبى .

بلال بن رباح :

رسول الله ﷺ يقول : اذهب فخذ جارية .

دحية الكلبي :

لقد أخذت صفية بنت حُيي بن أخطب سيدة قريظة وزوجة كنانة بن أبي الحقيق

علي بن أبي طالب :

يا رسول الله أعطيت دحية الكلبي صفية سيدة قريظة والنضير وهي لا تصلح إلا لك .

بلال بن رباح :

رسول الله ﷺ يقول لك : يا دحية تعال ومعك صفية .

دحية الكلبي : ماذا تريد يا رسول الله ؟

بلال بن رباح :

رسول الله ﷺ نظر إلى صفية ويقول : يا دحية خذ جارية من السبى غيرها .

دحية الكلبي :

آخذ مكانها أخت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق زوج صفية .

وحاصرا المسلمون الحصون الثلاثة فلم يخرج أحد منهم فَهم رسول الله ﷺ أن يجعل على من فيها المنجنيق فلما أيقن اليهود بالهلكة سألوا نبي الرحمة ﷺ الصلح في حقنه دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بأولادهم وأن لا يصحب واحد منهم إلا ثوباً واحداً على ظهره فصالحهم النبي ﷺ على أن ذمه الله ورسوله بريئة منهم أن يكتموه شيئاً من متاعهم يسألهم عنه .

علي بن أبي طالب :

يا رسول الله لقد وجدنا في الحصنين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة فرس عربية . ووجدنا في أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة طلبتها اليهود أتعطيها لهم .

بلال بن رباح :

رسول الله ﷺ يأمر بإعطائها لهم ويسأل عن جلد كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق الذي رفعه سلام بن أبي الحقيق يوم أن خرجوا من المدينة في غزوة بني النضير ورفعه عاليًا ليراه الناس وهو يقول بأعلى صوته " هذا ما أعددناه لرفع الأرض وخفضها .. وإن كنا قد تركنا هنا النخل ففي خيبر النخل .

علي بن أبي طالب :

أحضروا كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ليسأله رسول الله ﷺ عن الجلد .

كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق :

ماذا تريدون مني ؟

بلال بن رباح :

رسول الله ﷺ يسألك أين مسك (جلد) حيي بن أخطب ؟ ويسألك عن كنز حُيي عظيم بني النضير .

كنانة بن الربيع :

نفد في النفقة والحروب يا أبا القاسم .

بلال بن رباح :

رسول الله ﷺ يقول : كان أكثر من ذلك .

غزول اليهودي :

يا رسول الله إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل يوم .

بلال بن رباح :

رسول الله ﷺ يقول لكنانة :

أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك ؟

كنانة بن الربيع : نعم يا أبا القاسم .

بلال بن رباح :

إن رسول الله ﷺ يأمر بالخربة أن تحفر ويؤتي بالكنز.

محمد بن مسلمة :

هذا هو الجلد يا رسول الله ولكنه لم يكن به إلا القليل من الذهب .

بلال بن رباح :

رسول الله ﷺ يأمر الزبير بن العوام أن يأخذ كنانة حتى نستأصل ما عنده .

الزبير بن العوام :

تعال يا عدو الله ، أين الجلد ؟ وأين الذهب ؟ سوف تبقى حتى تشرف روحك على الهلاك .

كنانة :

اتركني ، إني سأموت ، سأخبرك عنه إنه في مكاني كذا .

محمد بن مسلمة :

ها هو الكنز يا رسول الله به أساور وخلاخل وخواتم الذهب وعقود الجوهر والزمرد وعقود الخرز والذهب .

بلال بن رباح :

رسول الله ﷺ يقول لمحمد بن مسلمة :

خذ كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فاقتله بأخيك محمود الذي قتله اليهود في بداية الغزو.

محمد بن مسلمة :

الآن أستطيع أن أثأر من أعداء الله أولاد القردة والخنازير لأخي محمود بن مسلمة .

المشهد الرابع

عودة مهاجري الحبشة

وزواج الرسول من صفية ومشاهد أخرى

كان المسلمون يتطلعون ناحية المدينة فإذا رَكبٌ يأتي على الطريق إنه جعفر بن أبي طالب ومعه الأشعريون أبو موسى الأشعري وأخوه أبو رهم وأبو بردة وسبعون رجلاً عليهم ثياب صوف معهم اثنان وستون من مهاجري الحبشة وثمانية رومیون من أهل الشام ، وراح المسلمون القادمون من الحبشة يقولون في شوق :

غداً نلقى الأحبة ، محمدًا وحزبه .

وأقبل رسول الله ﷺ على ابن عمه جعفر بن أبي طالب فقبله بين عينيه وقال :

جعفر أشبه الناس بي خُلُقاً وخَلْقاً .

ففرح جعفر بهذا القول وسُر من نشوة الخطاب ، وراح رسول الله ﷺ يخدم وفد النجاشي بنفسه فقال له بلال بن رباح وأبو هريرة :

نحن نكفيك يا رسول الله .

رسول الله ﷺ يقول :

إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم واستمر رسول الله ﷺ يخدم وفدَ النجاشي بنفسه وينظر إلى جعفر بن أبي طالب في غدوه ورواحه ، وهو مسرور ثم قال :

لا أدري بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟

عيينة بن حصن:

يا محمد ، أعطني مما غنمت من حلفائي فإني امتنعت عنك وعن قتالك .

بلال بن رباح يقول ﷺ :

كذبت ولكن الصياح الذي سمعت أنقذك إلى أهلك ولكن لك ذو الرقيبة.

عيينة بن حصن " في دهشة " :

وما ذو الرقيبة ؟

بلال بن رباح : يقول ﷺ

الجبل الذي رأيت في منامك أنك أخذته .

عيينة بن حصن يلتفت إلى أصحابه ويقول :

من الذي أخبره بأنني قد رأيت في منامي ليلة أن رجعنا خوفًا على أهلنا لما سمعنا الصوت أنني ملكت ذا الرقيبة.

بلال بن رباح :

ولقد أولت هذه الرؤيا بأنك تملك رقبة محمد وقد كذبت .

الحجاج بن علاط السلمي :

يا رسول الله ، إني قد أسلمت ، ولي مال عند امرأتي بمكة ، ومتفرق في تجارة مكة ، فأذن لي أن آتي مكة ؛ لآخذ مالي قبل أن يعلموا بإسلامي فلا أقدر على أخذ شيء منه .

بلال بن رباح :

أذن لك رسول الله ﷺ وأذن لك في أن تقول ما شئت ، حتى ترجع .

زواج رسول الله من صفية بنت حيي بن أخطب

وصفية هي من سبط هارون بن عمران أخي موسى عليه السلام وكان اسمها زينب وكانت تحت سلام بن مشكم القرظي ثم فارقها وتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق .

وجعل رسول الله ﷺ صفية عند أم سليم التي هي أم أنس خادمه ؛ لتصلح من شأنها حتى تطهر من الحيض فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية .

زينب بنت الحارث :

أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟

بلال بن رباح :

إنه يحب الذراع .

زينب بنت الحارث " تقول في نفسها " :

إذن أكثر من السم في الذراع ثم أضع في سائر الشاة وأذهب بها على رسول الله ﷺ وأضعها بين يديه .

بشر بن البراء :

ما هذا يا رسول الله لماذا تلفظ اللحم مرة ثانية وأنا أكل معك ولا أشعر له بمرارة .

بلال بن رباح :

إن رسول الله ﷺ يقول :

إن هذا الذراع يخبرني أنه مسموم .

بلال بن رباح :

إن رسول الله ﷺ يطلب زينب بنت الحارث ليسألها عن هذا السم .

زينب بنت الحارث :

نعم يا رسول الله ، لقد وضعت السم في الذراع .

بلال بن رباح : رسول الله ﷺ يقول :

ما حملك على ذلك ؟

زينب بنت الحارث :

بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان ملكًا استرحت منه وإن كان نبيًّا فسيخبر .

محمد بن مسلمة :

يا رسول الله ، لقد مات بشر بن البراء بسبب هذا السم ، فماذا أنت فاعل؟

بلال بن رباح :

هل يتجاوز رسول الله ﷺ عن هذه المرأة ؟

أم أنه سوف يقتص منها بسبب وضعها السم في الشاة ؟

محمد بن مسلمة :

لابد من القصاص لأن النفس بالنفس .

وركب الناس ، وانطلقوا وهم يشكرون الله عز وجل على ما أتاهم من نصر ولما قطع عليه السلام ستة أميال من خيبر وأراد أن يَعرس بصفية فأبت وحزن رسول الله ﷺ في نفسه وانتظر قليلاً ودخل على صفية وما من الناس أحد أكره إليها من قتل أبيها وزوجها وقومها فقال ﷺ :

أما إني أعتذر إليك مما صنعت بقومك ، إنهم صنعوا كذا وكذا وما زال يتقرب إليها حتى ذهبت الكراهية من نفسها .

وخيرها ﷺ بين أن يعتقها وأن يتزوجها وتسلم فقالت صفية :

أختار الله ورسوله .

رسول الله ﷺ :

ما هذه الخضرة التي بأعلى عينيك يا صفية .

صفية بنت حيي " أم المؤمنين " :

كان رأسي في حجر كنانة بن أبي الحقيق وأنا عروس وأنا نائمة فرأيت كأن القمر وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني فقال :

والله ما تتمنين إلا ملك العرب .

وأعرس بها رسول الله ﷺ بعد أن طُهرت من الحيض في قبة فما قامت من مقعدها ومن الناس أحد أحب إليها منه ﷺ ووجدت منه رقة وكياسة ولطفًا فقالت :

ما رأيت أحدًا قط أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ وحجبها ﷺ فأصبحت صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين .

المشهـــد الخامـــس

قريش تتمنى الهزيمة للرسول ﷺ

بلغ قريشًا أن رسول الله ﷺ سار إلى خيبر فأظهر جماعة منهم السرور وقالوا إنها قرية الحجاز ريفًا ومنعة ورجالاً ، وأن محمد بن عبد الله سيذوق الهزيمة عند حصون خيبر.

حويطب بن عبد العزى :

إن رسول الله يغلب أهل خيبر وأراهن على ذلك .

سفيان بن حرب :

أراهن على مائة بعير أن خيبر ستهزم المسلمين في هذه الغزوة .

حويطب بن عبد العزى :

هناك رجل قادم إلى مكة لعله الحجاج بن بلاط وقد أتى من ناحية خيبر ويعرف الخبر.

عكرمة بن أبي جهل :

أخبرنا يا حجاج فإنه بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر وهي بلد يهود وريق الحجاز.

الحجاج بن عليط :

قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم .

عكرمة بن أبي جهل " يطوف حول ناقة الحجاج ويقول " :

إيه يا حجاج .

الحجاج بن عليط :

لقد هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقتل أصحابها قتلاً لم تسمعوا بمثله قط ، وأما محمد فقد أسر وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه، بين أظهرهم ممن أصاب من رجالهم .

عكرمه بن أبي جهل :

يجري وينادي .يا معشر قريش لقد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم غدًا عليكم فيقتل بين أظهركم .

الحجاج بن عليط :

يا معشر قريش ، أعينوني على جمع مالي الذي هو على غرمائي فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من جمع محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنا لك .

عكرمة بن أبي جهل :

نعم نجمع لك كل مالك ونزيد لك .

الحجاج بن عليط : يقول لزوجته .

أعطيني مالي ، لعلي ألحق بخيبر فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجار.

العباس بن عبد المطلب :

ماذا قال الحجاج ؟

أبو سفيان بن حرب

إنه يقول بأن محمدًا ابن أخيك هزم وسوف يأتون به إلى هنا نأخذ ثأرنا منه .

العباس بن عبد المطلب :

قل له يقول لك العباس اللّه أعلى وأجل من أن يكون الذي جئت به حقًّا .

الحجاج :

من الذي أتى بك يا أبا الفضل اذهب إلى بيتك وسوف آتيك وخل بيني وبينك في حجرة فسوف أخبرك بالخبر الذي يسرك .

العباس بن عبد المطلب : ينادي على غلام له

اذهب إلى الحجاج وقل له في سرية تامة : ما الخبر ؟

الحجاج :

قل له انه سوف يأتيك بالخبر السار

العباس :

يا غلام أنت حر لوجه الله ، ولله على عتق عشر رقاب .

الحجاج :

من الذي أتى بك مرة ثانية يا أبا الفضل ؟ ألم أقل لك إنى سوف آتيك في بيتك ؟

العباس بن عبد المطلب :

لم استطع صبرًا تعال هنا إلى جنب هذه الخيمة ، وأخبرني ما هذا الخبر الذي جئت به ؟

الحجاج :- وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟

العباس :- نعم

الحجاج :

استأخر عني قليلاً حتى أنتهي من جمع ديوني .

العباس " بعد قليل " :

هل انتهيت يا حجاج من جمع كل شيء ؟

الحجاج :

احفظ عليَّ حديثي يا أبا الفضل فإني أخشى الطلب وانتظر ثلاثة أيام ثم قل ما شئت .

العباس :- لك هذا .

الحجاج :

إني قد أسلمت ، وإن لي مالاً عند امرأتي ودَينا على الناس ، ولو علموا بإسلامي لم يدفعوا إليَّ وقد أخبرت رسول الله ﷺ وأذن لي أن أتحدث بما شئت في سبيل أخذ ديني .

العباس :

أخبرني ماذا فعل ابن أخي على يهود خيبر.

الحجاج :

إني تركت رسول الله ﷺ قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله فيها وتركته عروسًا بابنة ملكهم حيي بن أخطب وقتل ابن أبي الحقيق .

فلما أمس حجاج خرج وطالب على العباس تلك الليالي الثلاث فلما مضت الثلاث لبس العباس ثيابًا جديدة ووضع الطيب وخرج حتى بلغ مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم .

لا يصيبك إلا خيرا يا أبا الفضل هذا والله التجلد بحر المصيبة .

العباس : في هدوء ليخفي الشماتة :

كلا والله الذي خلقني به لم يصبنى إلا خير بحمد الله ، أخبرني حجاج أن خيبر فتحها الله على يد رسول الله ﷺ وجرت فيها سهام الله وسهام رسول الله ﷺ واصطفى رسول الله صفية بنت ملكهم حيي بن أخطب لنفسه وأنه تركه عروسًا بها . وإنما قال ذلك لكم ليخلص ماله و إلا فهو ممن أسلم .

عكرمة بن أبي جهل " وهو يشتاط غيظاً " :

انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن أما لو انطلقنا خلفه نأتي بالمال الذي جمعه .

أبو سفيان :

أن يكون قد وصل مدينة رسول الله ﷺ .

أهم المراجع والمصادر

أسم المرجع	أسم المؤلف	الطبعة	سنة النشر	الناشر
أولاً : القرآن الكريم				
ثانياً :				
١- تفسير ابن كثير	لابن كثير.	الأولى	١٩٨٣	دار زهران
٢- الجامع لأحكام القرآن .	القرطبي .	الأولى	١٩٨٧	دار الفكر
٣- فتح القدير.	لابن كثير.	الأولى	١٩٦٥	مكتبة الحلبي
٤- تفسير النسفي .	عبد الله النسفي.	الأولى	١٩٦٨	مكتبة محمد علي صبيح
٥- السيرة النبوية .	أبو محمد عبد الملك بن هشام .	الأولى	١٩٧٢	مؤسسة مختار
٦- السيرة النبوية.	السيد أبو الحسن الندوى .	الأولى	١٩٨١	دار عمر المختار.
٧- محمد رسول الله والذين معه.	عبد الحميد جوده السحار.	الأولى	١٩٧٧	دار مصر
٨- الروض الأنف في تفسير سيرة ابن هشام .	عبد الرحمن الختعمى .	الأولى	١٩٧٢	مؤسسة مختار
٩- صور من حياة الرسول	وزارة الأوقاف المصرية.	الأولى	١٩٩٦	الإدارة العامة لمراكز الثقافة الإسلامية .

تابع أهم المراجع والمصادر

أسم المرجع	أسم المؤلف	الطبعة	سنة النشر	الناشر
١٠- رياض الصالحين .	للنووي	الأولى	١٩٨٣	دار التراث العربي
١١- تفسير آيات الأحكام.	محمد علي الصابوني.	الأولى	١٩٧١	دار الغزالي .
١٢- الرحيق المختوم .	صفي الرحمن المباركفوري.	الأولى	١٩٩٩	الإيمان المنصورة
١٣- مختصر تفسير ابن كثير	محمد علي الصابوني	الأولى	١٩٧٧	دار الصابوني
١٤- مناهل العرفان في علوم القرآن .	عبد العظيم الزرقاني .	الأولى	١٩٨٠	مطبعة الحلبي
١٥- البداية والنهاية .	ابن كثير.	الأولى	١٩٣٢	السعادة مصر.
١٦- فقه السيرة.	الغزالي .	الأولى	١٩٧٧	دار الكتاب العربي.